REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد بهي الدين العسّاسي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2401-1687

رقم الإيداع بدار الكتب
99/9440

الترقيم الألكتروني
3354-2735

الترقيم الدولي
977-5366-11-9

لنشر الأبحاث بالمجلة
يرجى الإرسال من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة
https://jejh.journals.ekb.eg

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصْدرهُا

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

المجلد السادس والخمسون

القاهرة

٢٠٢٢م

هَيْئَة التَّحْرِير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. جمال مُعَوَّض شَقْرَة
أ.د. أحمد زكريَّا الشَّلْق
أ.د. خَلَف عبد العظيم الميري
أ.د. أحمد الشِّرْبِيني السَّيِّد
د. محمَّد فوزي رَحِيل ـ سكرتير التحرير

الَهيْئَة الاسْتِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

أ. د. إبراهيم القَادِري بوتْشِيش (المَغْرِب)
أ. د. عَلَاء الدِّين عبد المُحْسِن شَاهِين (مصر)
أ. د. أحمد رَجَب محمد علي (مصر)
أ. د. محمَّد م. الأُرْنَاؤوط (كوسوفو)
أ. د. إسْحَاق تاوَضْرُوس عِبِيد (مصر)
أ. د. محمَّد صَابِر عَرَب (مصر)
أ.د. أشْرَف محمَّد مُؤْنِس (مصر)
أ. د. محمَّد السَّيِّد عبد الغَنِي (مصر)
أ. د. تُرْكِي بن فَهْد آل سَعُود (السَّعُودِيَّة)
أ. د. محمَّد عِيسَى الحَرِيرِي (مصر)
أ. د. جولييت رَسِّي (لُبْنَان)
أ. د. محمُود إسْماعِيل عبد الرَّازِق (مصر)
أ. د. حسين سيِّد عبد الله مُراد (مصر)
أ. د. مُنِيرَة شَابُوتُو رِمَادِي (تُونس)
أ. د. السَّيِّد فِلِيفِل (مصر)
Prof. Dr. Sylvie DENOIX (France)
أ. د. عاصِم أحمَّد الدِّسُوقي (مصر)
Prof. Dr. Albrecht FUESS (Germany)
أ. د. عبد الكَرِيم مَدُون (المَغْرِب)
Prof. Dr. Nicolas MICHEL (France)
أ. د. عبد الله بن محمَّد المُنِيف (السَّعُودِيَّة)
Prof. Dr. Tetsuya OHTOSHI (Japan)
أ. د. عَفَاف سَيِّد صَبْرَة (مصر)
Prof. Dr. Michel TUCHSCHERER (France)

تصميم الغلاف : محمد أشرف عبدالمقصود
الإخراج الفني والتنفيذ: ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتويات

النَّباتاتُ الطِّبِّيَّةُ مُسَكِّنَةُ الْآلَامِ فِي مِصْرَ القَديمَةِ ٧-٥٢

د. رجب عبداللطيف محمد محمد

نَقْلُ المَوْتَى فِي مِصْرَ خِلالَ العَصْرِ الْرُومَانِيِّ فَى ضَوْءِ الوَثَائِقِ البَرْدِيَّةِ ..

الباحثة/ فاتن على حسن عبد المطلب ٥٣ - ٨٦

قِفْطُ فِي العَصْرِ البِيزَنْطِيِّ (٢٨٤ – ٦٤١ م) ..... ٨٧ - ١٤٨

د. محمد عبدالشافي محمد محمود المغربي

كُورَةُ القَيْسِ فِي صَعِيدِ مِصْرَ (الفَتْحُ، والِاسْمُ، وَمَظاهِرُ الحَضَارَةِ)

٢١- ٦٣٥هـ/ ٦٤٢- ١٢٣٧م ..... ١٤٩ - ١٨٦

د. عمر بكر محمد

اَلْجُذُورُ التَّارِيخِيَّةُ لِدَوْرِ الأَتْرَاكِ فِي اضْمِحْلَالِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ

«أَشْناسُ أُنْموذَجًا» ..... ١٨٧ - ٢٠٦

أ.د. محمد عثمان عبدالجليل

المَدَارِسُ الْوَقْفِيَّةُ فِي مَدِينَةِ فَاسَ خِلالَ العَصْر المَرِينِيِّ ..... ٢٠٧ - ٢٤٤

أ.د. حسين مراد

دَوْرُ الجَيْشِ فِي الأَعْمَالِ المَدَنِيَّةِ فِي مِصْرَ زَمَنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ بن

قَلَاوُونَ (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩– ١٣٤٠م) ٢٤٥–٢٩٨

د. محمد فوزي رحيل

تابع المحتويات

بَعْضُ جَوانِبِ الحَياةِ الِاجْتِماعيَّةِ والِاقْتِصاديَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ مِنْ خِلالِ كِتابِ اَلْرَوْضِ المِعْطارِ لِلْحميَرِيِّ (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ٢٩٩-٣٥٦
د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي

مُؤَسَّسَاتُ ضَبْطِ الحُدُودِ القشْتاليَّةِ مَعَ غَرْناطَةَ فِي القَرْنَيْنِ الثّامِنِ والتّاسِعِ الهِجْرِيَّيْنَ / الرّابع عَشَرَ والْخامِس عَشَرَ المِيلَادِيَّيْنِ ..... ٣٥٧ - ٤١١
د. أميرة الطواب أحمد سفين

دورُ الوقفِ في نشوءِ بعضِ المـدنِ في المناطقِ الألبانيةِ خلالَ الحكم العثمانيِّ ..... ٤١٣ - ٤٢٨
محمد موفق الأرناؤوط

مَوْقِفُ مِصْرَ مِنْ مَطالِبِ اسْتِقْلَالِ السُّـودَانِ فَى الفَـتْرَةِ مِنْ ١٩٤٢–١٩٥٦ ..... ٤٢٩ - ٤٧٨
أ.د. أحمد عبدالدايم محمد حسين

مَشْروعُ المَمْلَكَةِ العَرَبيَّةِ المُتَّحِدَةِ وَمَوْقِفُ حَرَكَةِ فَتْحٍ مِنْهُ «دِراسَةٌ فِي مَصادِرِ فَتْحٍ» ..... ٤٧٩ - ٥٠٦
د. عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان

بَيْنَ صَلاحِ الدِّينِ وَجَمالِ عَبْدِ النَّاصِرِ: أَزْمَةُ الكِتابَةِ التَّاريخيَّةِ فِي الخَمْسِينِيَّاتِ والسِّتِّينِيَّاتِ ..... ٥٠٧ - ٥٢٦
الباحث/ حسن حافظ

The Role of Exile in the Era of the Bahri Mamluks (1250 – 1382) 1 - 562
Dr. Sami S. Abdulla Al-Makazeem

المجلة التاريخية المصرية ٥٦ (٢٠٢٢) ٥٠٧ - ٥٢٦

بَيْنَ صَلاحِ الدِّينِ وَجَمالِ عَبْدِ النَّاصِرِ: أَزْمَةُ الكِتابَةِ التَّاريخيَّةِ فِي الخَمْسِينِيَّاتِ والسِتِّينِيَّاتِ

حسن حافظ(*)

ملخص

تدور فكرة البحث حول تأثير مد القومية العربية في ظل تبني نظام جمال عبد الناصر لها كجزء من مشروعه السياسي على الكتابة التاريخية في مصر في فترة الخمسينيات والسيتينات. ونطرح أسئلة حول مدى التأثير الحاصل على عدد من المؤرخين المصريين في تناولهم لشخصية صلاح الدين الأيوبي، الذي نظر إليه في أدبيات القومية العربية باعتباره البطل العروبي الأول، والذي جاء عبد الناصر ليستكمل مشروعه في العصر الحديث.

Abstract

The idea of research revolves around the impact of the extension of Arab nationalism as the Jamal Abdel Nasser regime adopts it as part of its political project on the historical writing in Egypt in the 1950s and 1950s. We ask questions about the extent to which a number of Egyptian historians have influenced their approach to the character of Salah al-Din al-Ayoubi, who was

(*)باحث دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة.

viewed in the literature of Arab nationalism as the first Arab hero, and who Abdel nasser came to complement his project in the modern era.

أثناء زيارة الزعيم جمال عبد الناصر إلى دمشق، مارس ١٩٥٨، بعد إتمام الوحدة بين مصر وسورية (فبراير ١٩٥٨)، كان لافتا زيارته بصحبة الرئيس السوري شكري القوتلي لقبر السلطان الأيوبي الناصر صلاح الدين الأيوبي (حكم ٥٦٩-٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م)، وتستطيع سماع صوت المذيع الشهير أحمد سعيد، وهو يقول -خلال قراءة عبد الناصر ومن معه الفاتحة أمام قبر السلطان الأيوبي: "وقف الجميع لحظات أمام مثوى البطل، يذكرون جهاد رجل آمن بأمته فقاد العرب إلى المجد، وفي تلك اللحظات الخاشعة قال الرئيس القوتلي: يا سيادة الرئيس باسم هذا الشعب أجدد لك البيعة"[١].

بهذا المشهد الذي استعيدت فيه رمزية صلاح الدين الأيوبي الذي قاد وحدة مصر وبلاد الشام، وحقق الانتصار على الصليبيين وحرر بيت المقدس، يمكن لنا فهم كيف جاء الحديث عن هذا السلطان الأيوبي في نهاية الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، عندما وصل المد القومي العروبي إلى ذروته في مصر عبد الناصر، وتم تنصيب عبد الناصر كخليفة لصلاح الدين -الذي تم التغاضي عن كونه كرديًا- في قيادة الأمة العربية. نفترض أن استدعاء صلاح الدين الأيوبي في فترة الخمسينيات والستينيات لم يكن بريئًا بل كان الهدف منه هو الاستخدام الأيديولوجي نصرة لصورة عبد الناصر كبطل القومية العربية الجديد، فقد ظهرت الكثير من الأعمال التاريخية التي حاولت توظيف الشخصية التاريخية من أجل خلق صورة ذهنية بطولية لعبد الناصر كوريث جديد أو تجلي واقعي لبطولات الناصر الأيوبي، وهو ما ظهر بوضوح في فيلم "الناصر صلاح الدين" من إخراج يوسف شاهين العام ١٩٦٣.

---

[١] مقطع فيديو على موقع "يوتيوب" بعنوان "زيارة جمال عبد الناصر لقبر صلاح الدين الأيوبي بدمشق"؛ https://www.youtube.com/watch?v=sP10kYwFX6Q

تبنى نظام عبد الناصر فكر القومية العربية ودعا إلى الوحدة العربية، حتى أنه تم تغيير مسمى الجمهورية المصرية إلى الجمهورية العربية المتحدة، إثر الوحدة مع سورية في فبراير ١٩٥٨، ولم تستعيد المسمى القديم إلا في العام ١٩٧١م[١]. وتجلى الاهتمام بالفكر العروبي في "الميثاق" الذي قدمه جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٢١ مايو ١٩٦٢، وتضمن صياغة الخطوط العريضة لفلسفة الحكم للنظام المصري، ومن ضمنها الوحدة العربية، إذ يقول الميثاق: "إن مسؤولية الجمهورية العربية المتحدة في صنع التقدم، وفي دعمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها. إن الأمة العربية لم تعد في حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها... يكفي أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل. ويكفي أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان"[٢].

الحديث عن "وحدة التاريخ" في "الميثاق" عكست رغبة في التأصيل التاريخي للمشروع القومي العروبي في مواجهة أي مشروع آخر خصوصًا المشروع الوطني للدولة القطرية، والمشروع الإسلاموي لجماعة "الإخوان" ومن لف لفها، فوقع الاختيار على السلطان الأيوبي صلاح الدين يوسف بن أيوب، باعتباره النموذج الذي يمكن عليه إسناد الأصول التاريخية لخلق فكرة "الأمة العربية"، باعتبارها صورة متخيلة[٣]. فصلاح الدين بالتغاضي عن أصله الكردي استطاع

---

(١) انظر عن مناقشة الوحدة المصرية السورية ومقدماتها وظروف تشكلها، كتاب "أربعون عامًا على الوحدة المصرية السورية"؛ وهو كتاب جماعي صادر عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية؛ القاهرة (١٩٩٩م).

(٢) جمال عبد الناصر: "الميثاق"؛ قدمه إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في مصر ٢١ مايو ١٩٦٢؛ وفي الأغلب صاغ الصحافي محمد حسنين هيكل "الميثاق" الذي يحمل الأفكار الرئيسية لعبد الناصر.

(٣) انظر عن مفهوم القوميات والهويات المتخيلة الدراسة العميقة لبندكت أندرسن: "الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها"؛ ترجمة ثائر ديب؛ الدوحة- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠١٤).

الانقلاب على "النظام البائد" ممثلا في الخلافة الفاطمية، وأعاد توحيد مصر والشام ليحقق الانتصار على الصليبيين ويحرر القدس، وهنا يمكن مقارنة ما فعله صلاح الدين باعتباره النموذج، بما هو مأمول من جمال عبد الناصر الذي يسير على خطى البطل الأيوبي، فعبد الناصر هو فارس العروبة الحديثة، والرجل الساعي لإنجاز الوحدة بين مصر والشام (سورية)، وهو أيضا المحارب الأول للصهيونية (وريثة الحركة الصليبية في مضمونها)، والذي تبشر الأيام بأنه سيحقق النصر ويحرر القدس. هذه الحمولة الأيديولوجية نرى أنها انعكست بوضوح في العديد من الأعمال التاريخية التي سعت لاستدعاء صلاح الدين الأيوبي، والكتابة عنه في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، من أجل ترويج نموذج البطل العروبي الذي يمثله عبد الناصر، باعتبار الأخير إعادة إحياء لتراث صلاح الدين بطل العروبة القديم.

وجاء فيلم "الناصر صلاح الدين" إخراج يوسف شاهين، كتوظيف للتاريخي لخدمة السياسي المعاصر، فقد ظهر صلاح الدين في الفيلم الملحمي بطلًا للقومية الاشتراكية العربية[١]، ما عبر عنه ماك خوري قائلًا: "السياق الذي أنتج وعرض فيه الفيلم عزز صيغته باعتباره فيلمًا سياسيًا صريحًا، وأنشد الجمهور العربي المتحمس بصوت عال: ناصر!، وهو يتعرف على الربط بين معارك القرن الثاني عشر، وكفاح عبد الناصر لتوحيد الشعب العربي وتحرير فلسطين، والحق أنه كان من المستحيل تقريبا بالنسبة لجمهور عام ١٩٦٣، ألا يرى الرابطة بين قصة الفيلم والصراع العربي الإسرائيلي"[٢]. ومن أجل توصيل رسالته لا يلتزم شاهين بالوقائع التاريخية بقدر قدرة الظرف التاريخي على توصيل الرسالة التي تفيد الحاضر الذي

---

(١) عبد الرحمن عزام: "صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني"؛ ترجمة قاسم عبده قاسم؛ الدوحة- مؤسسة قطر للنشر؛ ط٢ (٢٠١٣)؛ ص ١٦.

(٢) ماك خوري: "المشروع القومي العربي في سينما يوسف شاهين"؛ ترجمة حسين بيومي؛ القاهرة- المركز القومي للترجمة (٢٠١٣)؛ ص ١١٢.

صاحب ظهور الفيلم، في إطار التزامه بالقومية العربية، لذا هدف شاهين من استدعاء تاريخ صلاح الدين "تأكيد قومة المقاومة القومية الجماعية المعادية للاستعمار في الثقافة الشعبية العربية"[١].

انعكست هذه الأجواء الصاخبة سياسيا بوضوح على الكتابات التاريخية التي ظهرت في مصر خلال الخمسينيات والستينيات، والتي نرى أنها تشبعت بالفكر القومي العروبي، في أعمال من نوعية: "الناصر صلاح الدين" لسعيد عبد الفتاح عاشور ١٩٦٥، و"البطل الخالد صلاح الدين والدولة الأيوبية" لفتحي الأبياري ١٩٦٢، كذلك قدم محمد صبيح في كتابه "مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية" والصادر في ١٩٦٣، رؤية صريحة تربط صلاح الدين في صف القومية العربية، كما حقق جمال الدين الشيال كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، والذي صدر العام ١٩٦٤[٢]، وهي سيرة كاملة لصلاح الدين على يد أحد معاصريه، غير العديد من الأبحاث المنشورة في هذه الفترة عن صلاح الدين.

وهنا يطرح السؤال نفسه، هل كان الاهتمام بالكتابة عن صلاح الدين يقتصر على الاهتمام البحثي أم أنه يعكس محاولة استخدام التاريخ لتثبيت زعامة عبد الناصر السياسية في العالم العربي؟ هل هناك شبهة استخدام سياسي للمعرفة التاريخية ما أدى بتلك الأعمال إلى محاولة رسم شخصية صلاح الدين في قالب يتناسب مع شخص عبد الناصر؟ هل تمت محاولة أسطرة لصلاح الدين الكردي كبطل عربي لكي يمكن إعادة استخدامه في إطار التأصيل للقومية العربية والزج به في أتون الصراع العربي الإسرائيلي؟ إن قراءة دقيقة لتلك الأعمال ومحاولة الكشف عن خطابها المستتر وراء استدعاء شخصية صلاح الدين الأيوبي هو الكفيل بالرد

---

[١] نفس المرجع؛ ص ١١٢.

[٢] بهاء الدين بن شداد: "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"؛ تحقيق جمال الدين الشيال؛ القاهرة- وزارة الثقافة والإرشاد (١٩٦٤)؛ ويعترف الشيال أن تحقيق الكتاب جاء بطلب من لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في إطار مناقشة بعض المقترحات المقدمة "لإحياء ذكرى البطل صلاح الدين يوسف بن أيوب"، مقدمة التحقيق ص ١٠.

على تلك الأسئلة سواء بالنفي أو الإيجاب.

ويرى الدكتور محمد مؤنس عوض بعد حصره للكتابات التاريخية عن صلاح الدين في القرن العشرين، أن التأليف عن صلاح الدين الأيوبي ينشط مع الثورات الوطنية ضد الاستعمار الأوروبي، وكذلك مع ظهور حركات للوحدة السياسية بين بعض الدول العربية، وكذلك في أعقاب الهزائم العسكرية التي أصيب بها العرب في صراعهم مع إسرائيل، والمعنى أن شخصية صلاح الدين الكاريزماتية تبعث دومًا الأمل والثقة في النفس لدى الشعوب العربية والإسلامية في رغبتها القوية للتخلص من الاستعمار الغربي والتوجه نحو الوحدة[١].

لكن الأهم أن هذه الجاذبية لشخصية صلاح الدين على المستوى الشعبي باعتباره رمزًا للجهاد ضد الصليبيين والغرب، جعلت عملية الاستدعاء التاريخي له من قبل الأنظمة السياسية في العالم العربي خلال القرن العشرين عملية مثمرة، عبر إعادة التوظيف التاريخي له من أجل استخدامه في تلميع الزعيم السياسي، سواء كان وريثًا حقيقيًا لصلاح الدين، أو مجرد ظاهرة صوتية تختفي خلف الدعاية السياسية بلا أي مضمون تحرري على مستوى الممارسة ضد العدو الجديد الممثل في الكيان الصهيوني المحتل للأراضي العربية في فلسطين[٢].

بداية علينا الاعتراف أن إرهاصات الكتابة عن صلاح الدين واستخدامه أيديولوجيًا سبقت فترة الجمهورية المصرية، فمحمد فريد أبو حديد ألف كتابه "صلاح الدين الأيوبي وعصره"، العام ١٩٢٧، ويقول عن سبب تأليفه للكتاب

---

(١) "الحروب الصليبية دراسات تاريخية وبيبلوغرافية"؛ القاهرة- دار الآفاق العربية (٢٠١٣)؛ ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) استحدث النظام البعثي في العراق محافظة صلاح الدين سنة ١٩٧٦، والتي تضم مدينة تكريت التي ولد فيها السلطان الأيوبي، كما ولد فيها صدام حسين، والذي رأى في نفسه صلاح الدين الجديد. كذلك نجد نظام حافظ الأسد البعثي في سورية يستدعي صورة صلاح الدين، باعتبار الأسد هو البطل الجديد وخليفة صلاح الدين، وهو ما تذهب إليه ليزا وادين في كتابها "السيطرة الغامضة.. السياسة؛ الخطاب؛ والرموز في سورية المعاصرة"؛ ترجمة نجيب الغضبان؛ بيروت- دار رياض الريس للنشر (٢٠١٠م).

والحديث عن صلاح الدين الأيوبي تحديدًا، "لأنه مؤسس دولة مصرية عظيمة يمكننا أن نعدها أولى الدول المصرية العظمى التي لا شبهة في مصريتها. فإن الدول التي سبقتها لم تكن دولًا مصرية بحتة، وذلك أن دولة الطولونيين والإخشيديين لم تكن دولة بالمعنى الصحيح، بل كانت محاولات أولية، ولم تكن الدولة الفاطمية بمصر دولة وطنية بالمعنى التام، إذ جاء الفاطميون فاتحين بعد أن تأسست دولتهم في شمال إفريقيا، وحتى بعد أن أصبحت مصر مركزًا لدولتهم كان المذهب الشيعي حائلًا بينها وبين المصريين من أن يندمج بعضهم في بعض كل الاندماج ويكونوا حكومة وطنية صحيحة، فكانت دولة صلاح الدين بمصر أول الدول الوطنية العظمى التي جعلت لمصر مكانها العالي بين دول العالم في القرون الوسطى"[١].

أبو حديد هنا يستخدم دولة صلاح الدين والأيوبيين في سياق الدولة الوطنية المصرية في إطار المد الوطني المصري الذي خلفته ثورة ١٩١٩ في النفوس وشكلت الهوية المصرية، واستخدامه ربما في شحذ الهمم لمقاومة الاحتلال البريطاني من مصر، لذا لم يكن غريبًا أن يرى أبو حديد في صلاح الدين بطلًا مصريًا، فيقول: "وإذا كان لرأي الشعب في تلك العصور قيمة فقد أدرك الشعب المصري أن فوقه رجلا ولا كالرجال بل هو القائد الفذ والمصلح الذي لم يعهد مثله"[٢].

استخدام صلاح الدين في إطار القومية المصرية في الحقبة الليبرالية سرعان ما انقلب إلى استخدام لدعم فكرة القومية العربية، فلدينا العديد من الكتب والرسائل التي أنجزت في فترة جمال عبد الناصر (١٩٥٤-١٩٧٠)، ويلاحظ

---

(١) محمد فريد أبو حديد: "صلاح الدين الأيوبي"؛ القاهرة- لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ١٩٢٧؛ مقدمة المؤلف. اللافت أنه عن إعادة طبع الكتاب مرة أخرى في عصر عبد الناصر، وتحديدًا في سنة ١٩٥٨، صدر بعنوان واضح المغزى وهو "صلاح الدين الأيوبي البطل الذي انتصر على الغرب".

(٢) المرجع نفسه؛ ص٩٠.

فيها المزج بين التأريخ وعملية الدعاية الأيديولوجية للقومية العربية، والربط بين مصير صلاح الدين الأيوبي البطل المنتصر على الصليبيين، وجمال عبد الناصر زعيم العروبة في العصر الحديث، والتبشير بانتصاره باعتباره وريث البطل الأيوبي. نذكر من هذه الدراسات: "جيش مصر في أيام صلاح الدين" لنظير حسان سعداوي[١]، و"مصر في عصر الأيوبيين" للسيد الباز العريني[٢]، و"صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه" لأحمد أحمد بدوي[٣]، و"صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين" لفوزي بخيت حسين[٤]، و"الناصر صلاح الدين الأيوبي" لمحمد سامي الدهان[٥]، و"البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي والدولة الأيوبية" لإبراهيم الأبياري[٦]، و"الناصر صلاح الدين" لسعيد عبد الفتاح عاشور[٧]، و"الناصر صلاح الدين وتحرير القدس" لإبراهيم علي طرخان[٨]. وهذه هي أهم المؤلفات التي صدرت عن صلاح الدين في فترة نهاية الخمسينيات وعقد الستينيات، والتي شهدت ازدهارًا واضحًا للكتابة عن

---

(١) نظير حسان سعداوي: "جيش مصر في أيام صلاح الدين"؛ القاهرة- مكتبة النهضة المصرية؛ ١٩٥٦. وهو في الأصل رسالة أكاديمية.

(٢) السيد الباز العريني: "مصر في عصر الأيوبيين"؛ القاهرة- وزارة التربية والتعليم (سلسلة الألف كتاب ١٦٩) ١٩٦٠.

(٣) أحمد أحمد البدوي: "صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه"؛ القاهرة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي (المكتبة الثقافية ٢٣)؛ ١٩٦٠.

(٤) فوزي بخيت حسين: "صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين"؛ الإسكندرية- دار الدعوة؛ ١٩٦٠. وهو في الأصل رسالة أكاديمية.

(٥) محمد سامي الدهان: "الناصر صلاح الدين الأيوبي"؛ القاهرة- دار المعارف ١٩٦٠.

(٦) إبراهيم الأبياري: "البطل الخالد صلاح الدين والدولة الأيوبية"؛ القاهرة- دار النهضة العربية (١٩٦٢).

(٧) سعيد عبد الفتاح عاشور: "الناصر صلاح الدين"؛ القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر (١٩٦٥).

(٨) إبراهيم علي طرخان: "الناصر صلاح الدين وتحرير القدس"؛ القاهرة- وزارة الثقافة (المكتبة الثقافية ١٨٩)؛ ١٩٦٨.

صلاح الدين؛ إذ يقول الدكتور محمد مؤنس عوض إن الكتابة التاريخية عن صلاح الدين ازدهرت "خلال مرحلة الوحدة المصرية- السورية الرائدة والقصيرة بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦١، وذلك من خلال حركة المد القومي العربي، وإعجاب الرئيس الخالد/ جمال عبد الناصر شخصيًا بصلاح الدين الأيوبي، خاصة أنه درس معاركه في مادة التاريخ الحربي بالكلية الحربية بالقاهرة"(١).

بل أن عباس محمود العقاد شارك في هذه الأجواء بكتابة مقالة عن "صلاح الدين"(٢)، ويرجح المؤرخ محمد مؤنس أحمد عوض، سبب كتابة العقاد لهذه المقالة إلى المد القومي مع الوحدة بين مصر وسورية، قائلا: "من المحتمل في هذا الصدد، أن ملابسات الوحدة بين مصر وسورية وما صاحب ذلك من مد قومي كاسح، خاصة بعد ١٠ أعوام من قيام الكيان الصهيوني في فلسطين؛ قد شجع العقاد على الكتابة عن ذلك القائد البارز في عصر الحروب الصليبية"(٣). ويبدو هذا واضحا من كلام العقاد نفسه الذي يقول في ختام مقالته: "صلاح الدين أحرى بالذكرى في هذه الأيام، صلاح الدين بطل الإسلام حائط الشرق، حامي فلسطين. ما أحرانا أن نذكره في هذا الزمن، بل في هذه السنة [أي سنة الوحدة بين مصر وسورية]، كلما ذكرنا مكيدة الكائدين للإسلام وخديعة الطامعين في الشرق، وجريمة الواغلين على فلسطين. وما أحرانا أن نستعد لهم اليوم كما استعد لهم بالأمس"(٤).

كانت هذه هي الروح القومية العروبية المحركة للكتابة التاريخية في

---

(١) محمد مؤنس عوض: "الحروب الصليبية دراسات تاريخية وبيبلوغرافية"؛ ص٢١٩.

(٢) عباس محمود العقاد: "صلاح الدين"؛ الكويت- مجلة العربي، العدد الأول، ديسمبر ١٩٥٨، ص ٥٨.

(٣) محمد مؤنس عوض: "رؤية عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) لصلاح الدين الأيوبي (١١٣٨-١١٩٣م)"؛ جامعة عين شمس- مجلة بحوث الشرق الأوسط (العدد ٦١)؛ ٢٠٢١؛ ص ١١.

(٤) عباس العقاد: "صلاح الدين"؛ ص ٥٩.

الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وهو ما يتجلى بوضوح في تحليل يوسف الشويري في كتابه "علم التاريخ العربي الحديث.. الخطاب التاريخي والدولة والأمة"[١]، للتحولات في خطاب المؤرخ المصري الرائد شفيق غربال (١٨٩٤-١٩٦١)، الذي عاش في فترة الاحتلال البريطاني لمصر والملكية وثورة ١٩١٩، ثم عاش في عصر الجمهورية وصعود شعبية جمال عبد الناصر، وهي فترة مليئة بالتحولات السياسية والفكرية التي أثرت في فكر شفيق غربال كما يرصد الشويري، والذي أثبت أن التحولات في خطاب شفيق غربال عن فترة حكم محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م)، تماشت مع المتغيرات السياسية قبل يوليو ١٩٥٢ وبعدها، إذ غير رؤيته السابقة حول أهداف محمد علي باشا، لتتماشى مع صعود القومية العربية ليؤكد ذلك في كتابه "منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم" والصادر عام ١٩٦١، إذ اعتبر أن هدف الباشا هو استقلال مصر وتوحيد معظم العالم العربي، وقد اكتسب غربال هذه الرؤية على وقع أزمة السويس عام ١٩٥٦ وصعود عبد الناصر، هكذا استقرت هوية مصر "أو هذا ما بدا للمؤرخ في آخر مرحلة من مسيرته"[٢].

كما نجد هذه الروح واضحة في كتاب محمد قنديل البقلي "وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام"[٣]، فالكتاب يخرج من رحم أفكار الوحدة العربية، بما في ذلك الوحدة بين مصر وسورية، بل أن البقلي يعترف صراحة بأنه ينهل من خطاب الرئيس المصري كدافع لتأليف الكتاب والتأصيل التاريخي على مستوى الفولكلور، إذ يرى أن الوحدة العربية ليست وليدة اللحظة "بل هي كما عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر أن الوحدة العربية هي وحدة طبيعية لا يستطيع أن

---

(١) يوسف الشويري: "علم التاريخ العربي.. الخطاب التاريخي والدولة والأمة"؛ ترجمة فكتور سحاب؛ بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية؛ ٢٠١٩.

(٢) المرجع نفسه؛ ص ١٤٤.

(٣) محمد قنديل البقلي: "وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام"؛ القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٦٣).

ينقضها مخلوق، وأنها منذ عهد بعيد"[١]. هكذا تحول عبد الناصر وصلاح الدين إلى جزء من حركة تاريخية حتمية ستتحقق لا محالة، وهي مسؤولية عبد الناصر باعتباره التجسيد الحي لهذه الرؤية الحتمية في الخمسينيات والستينيات.

يعبر الدكتور نظير حسان سعداوي عن النزعة العروبية بشكل واضح وصريح في كتابه "جيش مصر في أيام صلاح الدين"، وهو في الأصل أطروحة علمية نوقشت بجامعة القاهرة في الخمسينيات، فيبدو أن هزيمة جيوش العرب في نكبة ١٩٤٨، دفعت سعداوي إلى التأكيد على أن قوة الجيوش العربية هي السبيل الوحيد للانتصار على العدو الصهيوني، وهو في تصديره لكتابه لا يجعل هناك مجالًا للقارئ ليستشف رسالته بل يصرح بها واضحة صريحة، إذ يقول بعد أن يستعرض أسباب فشل الدول العربية في حرب النكبة إن "الثورة المصرية المباركة في فجر الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢... برهنت على سعة الإمكانيات المصرية... كما برهنت الحوادث نفسها للثورة المصرية، أن الأوضاع السياسية والحربية والاجتماعية في دول الشرق الأوسط كله، لا تستطيع أن تستقر إلا بإجلاء ذلك الوليد الغريب عن أرض فلسطين. لذلك سعت مصر إلى نشر الوعي القومي العربي بين المصريين، فمن جيوش تدرب، ومصانع حربية تقام هنا وهناك، ومدارس عسكرية تنشأ، وفتيان وفتيات يجرى تدريبهم على فنون الدفاع العسكري... ومحالفات بين مصر وشقيقاتها العربية النابضة بالروح الجديدة..."[٢].

ويكشف سعداوي عن استخدام التاريخ في خدمة الحاضر، إذ يرى أن "التاريخ خير ما تهتدي به الشعوب الناهضة"، لذا يقارن بين لحظة صلاح الدين الصليبيين ولحظة عبد الناصر والصهيونية وإن كان لا يصرح باسم الرئيس

---

[١] محمد قنديل البقلي: "وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام"؛ القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٦٣)؛ ص ٧.

[٢] نظير سعداوي: "جيش مصر"؛ تصدير المؤلف.

المصري، لكن السياق واضح في المقارنة الضمنية بين مشروع صلاح الدين الذي كان نقطة تحول في تاريخ مصر، "إذ آمن صلاح الدين بالجبهة الإسلامية، كما آمن بالقوة، والقوة لا تكون إلا في أرض مصر وتحت سمائها"(١).

تبدو روح اللحظة مسيطرة على أحمد أحمد بدوي وهو يكتب قائلا: "وليس بعجيب أن يعقد الناس آمالهم على من يحكم مصر، أن يفتح بيت المقدس، ويسترد السواحل؛ فإن عنده من الإمكانيات ما يمهد له السبيل إلى تحقيق هذه الآمال"(٢). بل الحديث عن أعداء "الوحدة" التي يقودها صلاح الدين يحيل إلى صراع جمال عبد الناصر لتوحيد الأمة في مواجهة قوى الرجعية، نرى أحمد بدوي متأثرا بوضوح بروح عصره عند صياغة الفقرة الخاصة بأعداء الوحدة "أولئك الذين لا هم لهم إلا الاحتفاظ بالسلطان ومظاهر الإمارة وحياة الترف التي يعيشون فيها، ولا يعنون أنفسهم مشقة الجهاد، بل لا يرضون أن يقفوا موقفا سلبيا فحسب، فظاهروا أعداء الإسلام وأعانوهم"(٣). فهل هذه الفقرة تنطبق على تاريخ صلاح الدين أم أن أحداث عصر عبد الناصر هي من أملت صياغتها بهذه الطريقة التي يمكن ببساطة استبدال اسم عبد الناصر باسم صلاح الدين، ولن يشعر القارئ بأي اختلال.

أما الدكتور إبراهيم علي طرخان فهو يهدي عمله "الناصر صلاح الدين وتحرير القدس" إلى "قائد العروبة البطل المظفر المخلص الرئيس جمال عبد الناصر.. إلى الأمة العربية"(٤)، وهو في كتابه يتحدث عن مشروع صلاح الدين لتحرير بيت المقدس، ويبدو الأمر اللافت هنا هو أن الكتيب الصغير صدر بعد عدة أشهر من هزيمة يونيو ١٩٦٧، فكأن طرخان يطرح برنامج عمل عبر

(١) نظير سعداوي: "جيش مصر"؛ تصدير المؤلف.
(٢) أحمد أحمد بدوي: "صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه"؛ ص ٨٣.
(٣) المرجع نفسه؛ ص ١٥٧.
(٤) إبراهيم علي طرخان: "الناصر صلاح الدين"؛ ص ٥

استخدام سيرة صلاح الدين الأيوبي، من أجل تكوين الوحدة العربية مفتاح النصر واستعادة القدس المحتلة مجددًا، وهو يقيم مضاهاة بين عصري صلاح الدين وجمال عبد الناصر، ليجعل القارئ يصل إلى قناعة بأن التاريخ يعيد نفسه وكما جرت الأحداث التاريخية لكتابة الانتصار على يد صلاح الدين فإن الوضع سيتكرر مع عبد الناصر لا محالة.

وفي نص طويل يعقد طرخان مقارنة بين العصرين تحت عنوان "ما أقرب اليوم إلى الأمس" قائلًا[1]: "في عام ١٠٩٩م أشبع الغرب مطامعه الاستعمارية تحت ستار الدين باسم الحروب الصليبية أو الحرب المقدسة، واستولى على نفس البقعة التي قامت بها إسرائيل... وفي عام ١٩٤٨ وما يليه، طرد الإسرائيليون العرب من فلسطين وانتزعوا أملاكهم وانتهكوا حرماتهم وشردوهم في شتى البلاد العربية"، ثم يقارن بين وصول صلاح الدين إلى سدة الحكم في مصر بإسقاط الخلافة الفاطمية وبداية مشروعه لطرد المستعمر الصليبي من الشرق الأوسط "وإعادة البلاد إلى أصحابها العرب، وبدأ في بناء القوة والقضاء على أذناب العهد البائد"، وبين قيام "الثورة المصرية العربية" ١٩٥٢، والتي قوضت "أركان العهد البائد وأذنابه، وأعوانه في الداخل والخارج... ثم بدأت تخطط للهدف الأقصى الذي يهم العروبة كلها، وهو استعادة فلسطين"، وإذا كانت سنة ١١٧٦ هي السنة التي تمت فيها الوحدة بين القاهرة ودمشق تحت راية صلاح الدين، فقد تمت الوحدة بين القاهرة ودمشق مجددا في العام ١٩٥٨ على يد جمال عبد الناصر. يترك إبراهيم طرخان النهاية مفتوحة إذ يتحدث عن كيف "أجمعت الأمة العربية والإسلامية على كلمة واحدة، دون استثناء" لتحرير القدس الذي تم في سنة ١١٨٧م، بقيادة الناصر صلاح الدين، ورغم أنه يتوقف بحديثه عند هذه النقطة لكنه بطبيعة الحال يترك للقارئ الفطن تخيل بقية المقارنة التي ينقصها فقط المشهد الأخير وهو انتصار عبد

---

[1] المرجع نفسه؛ ص ٨-١٠.

الناصر وتحرير القدس، وهو مشهد لم يحدث فظلت المقارنة ناقصة.

نجد مثل هذه الروح موجودة في خطاب الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، فهو يقول في مقدمة عمله عن "الناصر صلاح الدين"[١]: "التاريخ مليء بسير الأبطال والأعلام، فلكل دولة أبطالها ولكل أمة أعلامها الذين تعتز بهم وتفتخر بانتسابهم إليها وتحرص على ترديد سيرهم والتغني بأخلاقهم وأعمالهم، لأن أبناء الأمة يجدون في ذلك كله نوعًا من الاعتزاز بالماضي والفخر بسير الآباء والأجداد، فضلا عن الأمل في المستقبل لأن الأمة التي تنجب بطلًا قادرة على أن تنجب أبطالًا مهما تطل بها الأيام وتتقلب بها الأحداث". هذا النص الافتتاحي لكتاب عاشور لا يمكن قراءته بعيدا عن ذهنية الوقت الذي خرج فيه الكتاب للناس، أي العام ١٩٦٥، فالمتلقي هنا لا يمكن أن يقيم المقارنة بين "الآباء والأجداد" في صورة البطل صلاح الدين، وبين بطل الأحفاد جمال عبد الناصر، فالأخير هو البطل الجديد الذي أنجبته الأمة العربية لمواجهة الخطر الصهيوني.

ولما كان استدعاء صلاح الدين كأحد أبطال "العرب" بهدف أن تعتز الأمة "بهم وتفتخر بانتسابهم إليها وتحرص على ترديد سيرهم والتغني بأخلاقهم وأعمالهم"، فهنا نحن نتحدث عن تقديم سيرة تحرص على تقديم البطل في صورة بلا شوائب والبعد عن مناقشة أي تصرف قد يسيء إلى صورة هذا البطل، بل والاهتمام بتقديمه في صورة "البطل المعبود" الذي هو أقرب إلى صورة الملائكة، وهذا كله من أجل التمكن من إتمام عملية الاستدعاء التاريخي الجارية بتدعيم صورة عبد الناصر من خلال المماثلة بينه وبين صلاح الدين الأيوبي، لذا لم يكن غريبا أن تأتي الكتابات التاريخية الموجهة في هذه الحقبة مدافعة عن قرارات صلاح الدين الأيوبي التي أظهر فيها رغبة في السيطرة على السلطة من أبناء سيده السابق السلطان نور الدين محمود بن زنكي، فهنا تلتزم الكتب التي صدرت في هذه الفترة

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور: "الناصر صلاح الدين"؛ ص ٣.

بالدفاع عن سياسات صلاح الدين، إذ يقول سعيد عاشور دفاعًا عن اتهامات بالطمع غير المشروع والاعتداء الصارخ على أبناء البيت الزنكي: "إذا وقفنا أمام الحقائق لنتدبرها تدبر المؤرخ المنصف وجدنا أن صلاح الدين هو آخر من يمكن اتهامه بالطمع فيما للغير"[١]. فهذه القراءة تزعم أن البطل التاريخي يسير في طريق مرسومة بشكل هندسي لا تعرف أي انحرافات أو تعاطي مع المتغيرات التاريخية، فصلاح الدين هنا يمضي في طريق صناعة بطولاته وأمجاده المكتوبة له من قبل القدر، وكأن الأمر ابن مشروع مرسوم ينفذ صلاح الدين خطواته بمهارة وليس عملية متطورة بنت عصرها وتحدياتها، ومشكلة هذه القراءة للتاريخ هي أنها تعطي البطل تصورا خارقا وفوق عصره وأزماته، وكأنه مبعوث العناية الإلهية لتحقيق مشيئتها، وليس الابن لظروف العصر وأزمته ونتيجة لتفاعل مختلف المتفاعلين في تلك اللحظة التاريخية[٢].

ويشترك إبراهيم طرخان في رسم هذه الصورة الحتمية لصلاح الدين قائلا[٣]: "لكي يصل الناصر صلاح الدين إلى هدفه، كان عليه أن يوحد جبهة المسلمين ضد العدو المغتصب، وربما كان هذا الجانب من الجهاد أشق جوانب مشروعه الكبير، لأنه قد يضطر إلى محاربة المعاندين والمنشقين والخونة والمتآمرين من أبناء الشرق العربي، غير أن المصلحة الإسلامية العامة ضد أعداء الإسلام والمسلمين وضد الوطن العربي عامة تقضي حتمًا بتوحيد الكلمة، ولو كان عسيرًا

---

[١] سعيد عاشور: "الناصر صلاح الدين"؛ ص ٦.

[٢] راجع الفصل الذي عقده عاشور تحت عنوان "تدعيم الوحدة"؛ وهو مصاغ بطريقة عكسية تعيد ترتيب الوقائع التاريخية على النتيجة النهائية لتحركات صلاح الدين بانتصاره على الصليبيين، لإظهار جميع منافسيه بمظهر الخونة وأعداء قضية الوحدة العربية، وهي قراءة يمكن أن تثير تشابهات لا يمكن للقارئ في ستينيات القرن العشرين إلا أن تدفعه دفعا للمقارنة بخطاب الدولة المصرية الذي يروج لدور مشابه لعبد الناصر ضد عملاء الاستعمار من بعض الأنظمة العربية المعادية لنظام القاهرة.

[٣] إبراهيم طرخان: "الناصر صلاح الدين"؛ ص ١٥.

على ضعاف النفوس". هذا النص يكتسب أهمية خاصة إذا ما حذفنا "الناصر صلاح الدين" ووضعنا مكانه اسم جمال عبد الناصر، فأننا سنفاجئ بأن السياق لا يختل في ضوء ما يروجه نظام عبد الناصر عن نفسه باعتباره المدافع الأول عن العروبة والداعي الأكبر لوحدة العرب تحت قيادته، في وقت كانت مصر عبد الناصر تواجه ذروة صراعها مع الكيان الإسرائيلي، بالتوازي مع التنافس الحاد مع النظام البعثي في سورية والعراق، فضلا عن الصراع مع النظم "الرجعية" التي تقودها المملكة السعودية، بحسب تصنيفات النظام المصري وقتذاك.

ونصل إلى قمة الوضوح في الاستدعاء التاريخي عند محمد سامي الدهان في كتابه عن صلاح الدين، فالرجل يهدي الكتابة ابتداء "إلى من يحمل رسالة صلاح الدين في جمع شمل العرب وإنقاذ فلسطين"، بل يكشف عن دواعي تأليف الكتاب بكل صراحة قائلًا: "نحن لا نؤلف هذه الصفحات لعرض النظريات ومناقشة الآراء" بل لهدف "أن نتخذ من العصر والرجل [أي صلاح الدين] سبيلًا إلى فهم عصرنا وحياتنا ومحلنا من العالم الأوروبي اليوم، وقد عاد الأوروبيون بتفكيرهم في القرن العشرين إلى ما كان عليه أجدادهم في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، يحاولون من جديد أن ينشئوا في بلادنا ولايات متقطعة لهم، تحت أسماء جديدة، ليست باسم الدين هذه المرة، وإنما هي باسم حق إسرائيل في ربوعنا... ونحن نؤمن أشد الإيمان بأن التاريخ يتكرر أبدًا"[١]، بل يصل إلى النتيجة الحتمية وهي المضاهاة الكاملة بين العصرين قائلا: "ويشهد الله أننا وقفنا غير مرة عند تسيطر هذه الصفحات وقفة الدهشة والذهول، لتقارب الأحداث بين عصر صلاح الدين وعصرنا وأحوال زمانه وزماننا"[٢].

ويعبر سامي الدهان بوضوح عن حمولة الاستدعاء التاريخي لصلاح الدين باعتباره رمزًا للجهاد ضد الغرب، وبطلًا للوحدة العربية في الخطاب الناصري، إذ

---

[١] سامي الدهان: "الناصر صلا الدين الأيوبي؛ ص ١٠.

[٢] سامي الدهان: "الناصر صلا الدين الأيوبي؛ ص ١٣.

يقول بلغة توظف التاريخ بوضوح وتستدعي خطابة الستينيات الزاعقة: "هذه الوحدة الكبرى التي نهض لها صلاح الدين فحققها، وكاد يبلغ ذروة أمانيه فيها لولا موته، هي الوحدة التي ينهض لها قادتنا وشعبنا وتصبو إليها عيوننا وأفئدتنا، فنزيل الحصون اليهودية... ونعيد فلسطين قطعة من أرضنا... إن العرب لينتظرون ذكرى صلاح الدين اليوم أكثر من أي يوم مضى، فإن أيام صلاح الدين عادت تنتظر الناصر الجديد لحطين جديدة"، مذكرًا بمشهد مبايعة الرئيس جمال عبد الناصر أمام قبر صلاح الدين، "ليقود العرب إلى وحدة كبرى... ليكتبوا من جديد صفحات الفخار والأمجاد كما كتبها صلاح الدين في عصره"[١].

ومع ارتفاع المد العروبي في صياغة الكتب التاريخية عن صلاح الدين في تلك الفترة، نجد في الكتب التاريخية التي خرجت عن صلاح الدين في فترة حكم عبد الناصر، غياب أي محاولة لمعالجة تعتمد على دراسة التغيرات العميقة التي عاشتها المنطقة وقت صلاح الدين، وكيف أثرت فيه وكيف أثر فيها، ليتم التركيز على تصدير صورة لصلاح الدين وكأنه أعلى من صراعات عصره، وأنه صاحب مشروع واضح ومتكامل فرضه على العصر ورجاله فرضًا، وأنه رمز للبطولة العربية في أعلى وأنقى صورها، في ترسيخ لنظرية البطل المنقذ كما وضعها توماس كارليل[٢]، فنحن هنا نواجه البطل الوحيد صلاح الدين يواجه الأعداء من "الزنكيين والباطنية والصليبيين، وهي القوى الثلاث التي تحالفت ضده لتحول دون تحقيق الوحدة الإسلامية بين العراق والشام ومصر"[٣]. وهنا يتم إنكار واقع أن هذا العصر تميز بسرعة تبدل التحالفات بين مختلف القوى الإسلامية والصليبية، فلم يكن استهداف صلاح الدين خروجا عن روح العصر، وإنما هي قراءة تريد

---

[١] المرجع نفسه؛ ص ١٤٤.

[٢] توماس كارليل: "الأبطال"؛ ترجمة محمد السباعي؛ القاهرة- المطبعة المصرية (١٩٣٠م)؛ وخاصة المحاضرة السادسة الخاصة بـ "البطل في صورة ملك".

[٣] سعيد عاشور: "الناصر صلاح الدين"؛ ص ١٢٢.

الإيحاء بأن صلاح الدين هو مبعوث العناية الإلهية، وبالتالي انتصاره حتمي، كما أنه يُفهم من بين السطور أن جمال عبد الناصر وريث صورة صلاح الدين، سيكون انتصاره حتمي هو الآخر. وهنا تبدو خيانة المؤرخ في صياغة أطروحته التاريخية التي تأتي في سياق خدمة المشروع السياسية وإعادة كتابة التاريخ من أجل صياغة أطروحة لصلاح الدين شبه أسطورية من أجل التماهي مع المشروع الناصري، "ولكن يبقى واجب المؤرخ أن يؤكد أن صلاح الدين كان ابن عصره، وتأثر بأحداثه، كما أثر فيها إلى حد ما. كانت الحروب الصليبية ظاهرة خاصة، في وقت خاص من التاريخ، وتطلبت ردًا خاصًا من جانب المسلمين"[١].

هنا تظهر أزمة الكتابة التاريخية عن صلاح الدين في عصر جمال عبد الناصر، فالنماذج التي استعرضها البحث، لم تستطع الخروج من عباءة عبد الناصر في نظرتها إلى صلاح الدين، فحولت الأخير إن تصريحا أو تلميحا إلى مجرد عباءة تتناسب مع حجم عبد الناصر وأهداف مشروعه القومي العروبي، ومن أجل إنجاز هذه المهمة تم صياغة سيرة صلاح الدين بشكل مثالي وحذف كل ما قد يصيب هذه الصورة بالتشويه، والدفاع المستميت عن سياساته، لأنه ضمنيا دفاعا عن جمال عبد الناصر، بطل العروبة في العصر الحديث، خاصة أن وجود إسرائيل واحتلالها لأراضي فلسطين والقدس، تجعل استعادة نموذج صلاح الدين ذات جاذبية لا تقاوم، كبطل للمقاومة والانتصار على الغرب المحتل، خصوصا عندما أسس عبد الناصر خطابه على معاداة إسرائيل وتحرير فلسطين، ومن هنا كان الإغراء الذي سقط فيه معظم المؤرخين وقتذاك فلم يستطيعوا أن ينزعوا نظارة عبد الناصر عند سرد تاريخ صلاح الدين، لكن السؤال المهم هو: هل الكتابة التاريخية في مصر طوال فترة عبد الناصر لم تستطع أن تخرج من عباءة المشروع الناصري فظلت حبيسة الرؤية الناصرية للأمور أم أنها كانت متحررة من سطوة النظام المعروف بقبضته الأمنية؟

---

[١] عبد الرحمن عزام: "صلاح الدين"؛ ص ٢٠.

يبدو الأمر فيما يتعلق بصلاح الدين أن الإجابة هي أن الكتابة التاريخية كانت تعبيرا عن عصرها بأكثر مما تكون تعبيرا عن دراسة أكاديمية لصلاح الدين وعصره، فصورة البطل الذي يتم استخدامه من أجل الترويج للبطل عبد الناصر ومشروعه السياسي كانت الأساس الذي أنطلق منه معظم المؤرخين الذين درسنا أعمالهم في هذه الفترة، سواء كان الأمر بصورة واعية أو غير واعية، عن إقتناع أو مجرد مسايرة للسائد والرائج. أما إطلاق حكم على مجمل الكتابة التاريخية في مصر في الخمسينيات والستينيات فيحتاج إلى دراسة أكبر وأوسع.

* * *

مراجع البحث

- أحمد أحمد البدوي: "صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه"؛ القاهرة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي (المكتبة الثقافية ٢٣)؛ ١٩٦٠.
- إبراهيم الأبياري: "البطل الخالد صلاح الدين والدولة الأيوبية"؛ القاهرة- دار النهضة العربية؛ ١٩٦٢.
- إبراهيم علي طرخان: "الناصر صلاح الدين وتحرير القدس"؛ القاهرة- وزارة الثقافة (المكتبة الثقافية ١٨٩)؛ ١٩٦٨.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: "الناصر صلاح الدين"؛ القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر؛ ١٩٦٥.
- السيد الباز العريني: "مصر في عصر الأيوبيين"؛ القاهرة- وزارة التربية والتعليم (سلسلة الألف كتاب ١٦٩) ١٩٦٠.
- عباس محمود العقاد: "صلاح الدين"؛ الكويت- مجلة العربي، العدد الأول، ديسمبر ١٩٥٨.
- عبد الرحمن عزام: "صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني"؛ ترجمة قاسم عبده قاسم؛ الدوحة- مؤسسة قطر للنشر؛ ط٢ (٢٠١٣).
- فوزي بخيت حسين: "صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين"؛ الإسكندرية- دار الدعوة؛ ١٩٦٠.
- ماك خوري: "المشروع القومي العربي في سينما يوسف شاهين"؛ ترجمة حسين بيومي؛ القاهرة- المركز القومي للترجمة؛ ٢٠١٣.
- محمد سامي الدهان: "الناصر صلاح الدين الأيوبي"؛ القاهرة- دار المعارف (١٩٦٠).
- محمد مؤنس عوض: "الحروب الصليبية دراسات تاريخية وبيبلوغرافية"؛ القاهرة- دار الآفاق العربية (٢٠١٣م).
- محمد مؤنس عوض: "رؤية عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) لصلاح الدين الأيوبي (١١٣٨-١١٩٣م)"؛ جامعة عين شمس- مجلة بحوث الشرق الأوسط (العدد ٦١)؛ ٢٠٢١.
- محمد فريد أبو حديد: "صلاح الدين الأيوبي"؛ القاهرة- لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ١٩٢٧.
- محمد قنديل البقلي: "وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام"؛ القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٦٣).
- نظير حسان سعداوي: "جيش مصر في أيام صلاح الدين"؛ القاهرة- مكتبة النهضة المصرية؛ ١٩٥٦.
- يوسف الشويري: "علم التاريخ العربي.. الخطاب التاريخي والدولة والأمة"؛ ترجمة فكتور سحاب؛ بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية؛ ٢٠١٩.